

أبواب الجحيم لن تقوى على دمشق الشام

ليلة الخميس 17.7.2014 دخلت دولة الإسلام في العراق والشام 'داعش' الى مدينة الموصل، عاصمة السريان منذ ظهور المسيحية، وأصدرت بلاغاً يُلزم النصارى بـ مغادرة المدينة قبل ظهر السبت 19 تموز، بالثياب التي عليهم' وكتبوا على بيوتهم حرف "ن" عقارات الدولة الإسلامية. وإمعاناً بالرحمة والتسامح' عرضوا على النصارى الخيارات التالية :

- إشهار إسلامهم لضمان سلامتهم وحياتهم،
- دفع الجزية لقاء بقائهم أحياء على إيمانهم،
- الذبح على الطريقة الإسلامية بحد السيف،
- مغادرة دارالإسلام الى غير رجعة.

فأسلم من أسلم وتحول الى دمي من تحول وقُتل من قُتل وهُجّر من هجر. لكن العالم الغربي والإسلامي بقي نائماً مطمئناً. لماذا يتحرك وسائل الراحة متوقّرة له كلها : الكهرباء، الماء، النفط، الغاز، المأكل، المشرب، الهاتف الثابت والمحمول، التلفزيون، الأنترنت، الأدوية، التأمين الصحي والمشافي جاهزة كلها ل راحتة... لا موجب ل يتحرك؟... الموصل، النصارى، التاريخ، السريان، المخطوطات... كلها لا تمسّ رغد عيش الشعب ولا الطمأنينة والوفرة التي ينعم بها.

منذ 15.3.2011 وسوريا تعاني من ويلات القتل والذبح ومن مآسي الخطف والقصف والدمار والنهب، ولا ضمير يتحرك. لأن مخطط الأخ الأكبر لـ "الشرق الأوسط الجديد" لم يكتمل بعد... لأن الممانعة المرفوضة لا تزال مستمرة... لأن خط الغاز من الجنوب نحو الشمال يتنافى مع خط الغاز من الشرق نحو الغرب... لأن استبدال سايكس - بيكو بأخرى لم يكتمل بعد... لأن الطفل المدلل لم ولن يرتاح قبل ان تزول الممانعة والمطالبية بالأراضي المحتلة وحق العودة...

لكن حين اقتربت النار من النفط وحراسه الغربيين، سمعت البشرية تهديدات الأخ الأكبر والمصارع الأعظم !..

وهذا ما حصل حوالي العشرين من آب 2014 حين توجهت داعش صوب منابع النفط العراقية حيث يعمل العديد من الخبراء والفنيين من جنسية من دمر بلاد ما بين النهرين واحتلّها وانسحب ظاهرياً بعد أن رهن خيراتها لحسابه... ولما قام 'إرهابيون داعشيون' بذبح الصحفي الأميركي 'جيمس فولي' ونشرت صور الذبح الرهيبة على وسائل الإعلام، وجد الأخ الأكبر الفرصة سانحة لتجديد شباب مخططاته. فتحرّك بـ سرعة ليبيشر بالويل والثبور وعظائم الأمور...

العالم كله أدان عملية الذبح الهمجية، لكن المراقب يتساءل : لماذا انتظر الغرب الى اليوم حتى يتحرّك بعض ضميره؟...

- فقد قتل عشرات الصحفيين، خلال السنوات الماضية ومن كافة الجنسيات... وضمير الغرب نائم !..
- بلاد الشام تعاني ويلات الحرب بأسلحة وتدريب وتمويل ودعم الغرب وحلفائه... وضمير الغرب نائم !..
- عشرات ألوف 'الجهاديين المستوردين' وصلوا الى ارضنا ل يذبحوا ويدمروا... وضمير الغرب نائم !..
- 'الجهاديون المستوردون' قتلوا وجرحوا وهجروا عشرات الألوف من المواطنين... وضمير الغرب نائم !..

في خطاب لم يلقيه الرئيس كينيدي يوم قُتل في 22.11.1963 قال "قدرنا لا خيارنا، أن نكون حراس الحرية في العالم". واليوم أصبح خياركم إلغاء حرية الآخرين وفرض مصالحكم ومخططاتكم. سبعون سنة قلبت المفاهيم والمبادئ : " الدولة التي أحبها واحترمها العالم رمزاً للحرية والديموقراطية وبرّ الأمان، أصبح العديد يخضع لها لكنه لا يحبها ولا يحترمها..."

من سنوات عديدة والغرب يدّعي أنه يسعى لنشر الحرية والديموقراطية والسلام في المشرق. القاصي والداني يعرف نتائج ما فعلت أياديه البيضاء. لذا نؤكد لكم : بلاد الشام ليست بحاجة لدروسكم في الحرية والديموقراطية والعدالة، نحن نتمنى أن تبتعدوا عن ارضنا... بالقرب منا يقيم أصدقاؤكم ملوك وأمراء الجهل والجاهلية. لماذا لا تذهبوا اليهم وتتغنوا بانجازاتهم الحضارية، وتتمتعوا بالحرية والديموقراطية والعدالة التي ينعم بها شعبهم.

يا سيادة الرئيس باراك أوباما، يوم التقيتم بطاركة أنطاكيا، في 12.9.2014 قلتم لهم : إننا نعلم أن الرئيس بشار الأسد يحمي المسيحيين في سوريا... أسمحوا لي بالتصحيح : " السيد الرئيس بشار الأسد يعمل على حماية كافة أبناء سوريا، وليس فقط المسيحيين، هذا واجبه الشرعي في حماية الوطن والدفاع عن الشعب، ضد كل مدّعي الثورة، من جهاديين مستوردين ومن تكفيريين سلفيين ومن مغسولي الدماغ بـ دولارات ملوك وأمراء البترول.

البطاركة الأنطاكيون، آباء الكنيسة المشرقية، قالوا ل السيد باراك اوباما بعد اعلانه الحرب على داعش: " نريدكم صانعي سلام لا صانعي حرب. حربكم على منطقتنا قد تكون الكارثة القاضية علينا. نحن أبناء الأرض وأهلها الأصليون لسنا رأس جسر ولا حاملة طائرات على يابسة أو طاننا ولا جاليات فرنجة ولا مستعمرين ولا مستوطنين ولا ذميين. " وأضاف أدهم : "اني أكلّمك بالأرامية - لغة السيد المسيح - والتي تحاربونها مع حلفائكم 'المسلحين المعتدلين وغير المعتدلين'."

و هذا ما لم يقله البطاركة ل السيد الرئيس باراك اوباما حول خطابه العتيدي :

1.. قبل نيف وعشرين سنة، قدّم السيد الرئيس حافظ الأسد - رحمه الله - اقتراحا الى الأمم المتحدة ل تحديد ما هي المقاومة وما هو الإرهاب... ولأن الإقتراح جاء من دولة نامية صغيرة، لم يلقَ آذاناً صاغية. وحتى يومنا لم يتحدّد الفرق !

2.. في مقابلة مع صحيفة فرانكفورتر الغيمائنه تسابيتونغ الألمانية، بتاريخ 17.6.2013 اعتبر السيد الرئيس بشار الأسد أن سورية ستقضي على الإرهاب على أراضيها. وحذّر الغرب وحلفاءه من استمرارهم في تسليح وتدريب وتمويل المعارضة لأن هذا الإرهاب سيرتدّ عليهم لاحقاً، على مبدأ ال بوميرانغ... وها هو الغرب قد بدأ يستيقظ!...

3.. في خطابك يا سيادة الرئيس، تعهدتَ بقصف داعش في العراق وسوريا، بتنسيق مع العراق وبدون تنسيق مع سوريا... هل قرارك هذا يحترم المواثيق الدولية وسيادة الدولة التي تحارب "الإرهاب المعتدل وإخوانه وأبناء عمه"؟...

4.. نفهم من خطابك يا سيادة الرئيس أن حلف الأربعة دولة سيدعم بالملايين ويسلّح ويدرب في السعودية الجيش الحر وما تسمّونهم "مقاومة معتدلة"... برأيكم، هل أصبحت وهايبة السعودية 'معتدلة' حتى تدرّب 'معتدلي الجيش الحر'؟...

5.. يا سيادة الرئيس باراك أوباما : داعش خلقت "دولة الخلافة" خلال أقل من ثلاثة أشهر وتغلّبت على دولة أعدت تنظيم وتدريب وتسليح جيشها... لماذا أنتم يا أقوى دولة في العالم تحتاجون لمساعدة اربعين دولة حليفة ول ثلاث سنوات للقضاء على "دولة الخلافة داعش"؟... إقرأ التاريخ يا سيادة الرئيس : سنة 2003 جيشكم احتلّ العراق في أقل من شهر!...

6.. قد تتساءل يا سيادة الرئيس كيف تمكّنت سوريا - الدولة الصغيرة - من الصمود خلال كل هذه السنوات أمام حلف 'غير مقدس' جمع الغرب والخليج وتركيا ومن يدور في فلحكهم؟... ها هي أسباب صمودنا... حبذا لو تدرّسوها في معاهدكم :

- حضارتنا السورية العارفة في التاريخ علمتنا 'ثقافة الحياة'
- ومسيحيّتنا المشرقية علمتنا 'محبة القريب والغريب والوطن،
- وأسلامنا الوسطي المعتدل علمنا 'التعايش والإحترام المتبادل'

اما سوريا الدولة ومنذ فجر الإستقلال فقد أُرضعتُ أبناءها حليب حرية الأسود، حليب العزة والكرامة، حليب حبّ الوطن الأبوي العصي. وكان ل خدمة العلم في الجيش الفضل الأعظم في صهر ابناء سوريا في بوتقة واحدة حتى شعر كل منا أنه سوري قبل أن يكون سنياً أو شيعياً أو مسيحياً أو علوياً أو درزياً أو كردياً أو آشوريا... يا سيادة الرئيس نرجوكم أخذ العلم :

- سوريا لا تزال حتى اليوم مستمرة ب دعم رغيّف الخبز وايصاله لمواطنيها بأقل من كلفته؟...
- سوريا لا تزال تؤمّن المواد الأولية لإنتاج الأدوية محليا وتقدم الخدمات الصحية لشعبها مجاناً؟...
- سوريا لا تزال تؤمّن كل الكتب وتدرّس ملايين الطلاب والطالبات مجاناً، من الحضارة حتى الجامعة؟...

سوريا صامدة أيضا بفضل وفاء ومصداقية حلفائها، رغم الحرب الكونية عليها. الكل يعلم أن سوريا - ومنذ الخمسينيات - كانت ضمن مجموعة الدول المتعاونة مع الإتحاد السوفيّاتي في كافة المجالات. وبقية تحتّم المواثيق والمعاهدات وحتى هذا اليوم ولم تنقل البندقية من كتف لآخر كما فعل العديد من الدول العربية... لذا كان الوفاء ل سوريا الدولة سرّاً صداقة وإحترام الدولة الروسية. وازداد التحالف متانةً حين لمست روسيا مدى تماسك الجيش السوري والتفافه حول قيادته... لا شك أن روسيا لها حساباتها ومصالحها في سوريا وفي المشرق، وخاصة أنها كانت دوما تسعى للوصول الى المياه الدافئة ومنذ ايام الأمبراطورة كاترين... وها هي وصلت، وأضحّت دمشق ضمن حدود الأمن القومي الروسي.

أما العلاقات الودية بين سوريا وإيران فعمرها خمسة وثلاثون عاما، أي منذ قام آية الله الخميني بثورته على الشاه واتخذ موقفاً جريئاً من حقوق الشعبين السوري والفلسطيني، قابله موقف سوريا المؤيد للثورة الإيرانية والمعارض لحرب الرئيس صدام حسين عليه... والإحترام المتبادل بين الدولتين لم يمنع سوريا من البقاء على علمانيّتها وإيران على خطها الديني...

بعد إعلانكم الحرب على 'دولة الخلافة الإسلامية' العالم يتساءل : كيف للذين صنعوا ورعوا ومولوا وسلّحوا الإرهاب أن ينظّموا مؤتمر محاربة الإرهاب وهم قاطرتهم، وبحضوركم المميّز... كيف للعالم أن ينسى محاربة 'القاعدة وإخوانها'؟... وهذا ما قاله السيد وزير الإعلام السوري، السيد عمران الزعبي، في مقابلة مع قناة المنار اللبنانية بتاريخ 16,9,2014 : "من غير المعقول أن تحارب الإرهاب الدول التي حضنته ودعمته ومولته وسلّحته ولا تزال." كلام معيّر ، كيف يمكن ل من ساعد القاعدة وداعش والنصرة وإخوانها وبناء عمّها أن يكون صادقاً مخلصاً في محاربتها؟..

بتاريخ 20.9.2014 سمعنا آخر تصريح للسيد جون كيري، وزير خارجية الدولة الأعظم - لا فضّ فوه - قال ب جرأة : تدريب 'الجيش الحر والمعتدلين' لمحاربة الجيش السوري وداعش يتطلّب سنة كاملة... والسؤال الذي يفرض نفسه عليك يا سيّدي الوزير : "هل تتصوّر أن الشعب السوري المعذب سينتظر مولانا الإنتلاف' مع 'جيشه الإنكشاري' سنة تدريب وسنة معارك قبل أن ينتصر على الجيش السوري وعلى دولة الخلافة؟... ثم هل ينوي العم سام استمرار ارسال طائراته محمّلة ب الهامبورجر وال كاتش اب ل يُشيع جوع 'المحاربين المعتدلين المستوردين'؟..."

هناك من استغرب قرار حلف الأربعين حول إمكانية أحياء جثث متعفّنة، عاشت سنين عمرها على خلاف واختفت بعد إصابتها ب الكوما؟... ألا ترى يا سيادة الوزير، أن داعش تتلهّف لمحاربة الجيش الحر مع إنتلافه الإسطمبولي؟...

لقد جاء على لسان وزير خارجية ايران السيد محمد جواد ظريف، صاحب الإبتسامة الدائمة، هذا التقييم الرائع والصريح : " لولا تماسك الدولة السورية ولولا بطولة الجيش السوري ولولا تلاحم الشعب السوري الأسطوري حول وطنه سوريا لكانت الآن دولة الخلافة تحكم المشرق من دمشق وتهدّد رقاب حكام الجوار... " لماذا ينسى أو يتناسى عالمنا المشرقي مشروع السكّين الداعشي الوهابي بأشكاله الذي يحول دون انخراط المشرق في الفكر القومي المتحرر من القيود؟....

كيف يتغافل العالم عن أحدث مدرسة وأنجعها في محاربة الإرهاب أسّسها الرئيس حافظ الأسد وطوّرها ابنه بشار الأسد خلال العشر الأول من القرن الحادي والعشرين؟... البرهان؟... صمود سوريا الأسطوري امام الحرب الكونية المعلنة عليها منذ بداية أحداث 2011... لذا يصح القول لكل من يريد محاربة الإرهاب الذهاب الى سوريا للإستعانة بخبرتها الطويلة، اذ أن ما حقّفته تعجز عنه العديد من الدول.

ليس من الأجدى اللجوء الى حلّ بسيط، يسمح للجميع بحفظ ماء الوجه : إن دول العالم كافة تسعى ل محو دولة داعش من الوجود، حفاظاً على خيرات الشرق وخوفاً من ارتداد المارد على أمن الغرب وبحبوحته... لماذا لا تتقاسم روسيا واميركا الأدوار في محاربة دولة الخلافة، كي تتحاشى البشرية مخاطر وقوع حرب عالمية :

" تقوم واشنطن بقصف داعش في العراق بالتنسيق معه وتقوم موسكو بقصفه في سوريا، حيث الموافقة السورية مضمونة."

دول المشرق ودول شمال افريقيا وشعوبها تعاني من حالة الضياع الوطني ومن الشكوك في صحة الإنتماء، ومن الخوف على قومية تسير نحو الجاهلية، كلها وصلت الى مرحلة : كفى... وسوريا، شهيدة المخططات الظلامية، تعبت وتعب شعبها الذي ينشد نهاية النفق المظلم واصبحت تخاف من انفجار 'الغضب الساضع' وهو يصرخ : "عليّ وعلى أعدائي!..."

مهما فعلت القوى الظلامية، ل أوامركم دمشق الشام لن تخضع!... وأمام جيوشكم لن ترقع!... سوريا ترقع تحت أقدام الرحمن وحده كي تبقى سوريا الله حاميها، حتى لاتقوى عليها أبواب الجحيم!...

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

لوجانوا، في 20.9.2014

فؤاد عزيز قسيس

kassisfouad@hotmail.com

